السنة والبدعة
وأثرهما في الأمة

لفضيلة الشيخ

عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم

دار المنهاج

دار سبيل المؤمنين للنشر والتوزيع

السنة والبدعة

وأثرهما في الأمة

حقوق الطبع محفوظة
لدار المنهاج

الطبعة الأولى
١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

رقم الإيداع: ٢٠١٢/١٧٥١٠

دار المنهاج
شارع الهدي للحمدي - من أحمد عرابي - مساكن عين شمس
القاهرة - جمهورية مصر العربية
جوال: ٠٠٢/٠١٢٨٨٨٨ ٤٠ ٧٨ - ٠٠٢/٠١٢٨٨٨٨ ٤١ ١٣
E-Mail : daralmenhaj@hotmail.com
daralminhaj@yahoo.com

دار سبيل المؤمنين
عين شمس - القاهرة - جمهورية مصر العربية
جوال: ٠٠٢٠١٠٧٦١٠٩٩ - ٠٠٢٠١١٤٠٦١١٠٩
البريد الإلكتروني:
Dar_sabilelmomnen@yahoo.com
Dar_sabilelmomnen@hotmail.com

السنة والبدعة

وأثرهما في الأمة

تأليف
فضيلة الشيخ
عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم

دار سبيل المؤمنين
للنشر والتوزيع

دار المنهاج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الناشر

إنَّ الحَمدَ لله، نَحمَدُهُ، وَنَستَعِينُهُ، وَنَستَغفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِن شُرُورِ أَنفُسِنَا وَمِن سَيِّئَاتِ أَعمَالِنَا، مَن يَهدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُضلِل فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشهَدُ أَن لا إِلهَ إِلَّا اللهُ وَحدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠، ٧١].

أَمَّا بَعدُ: فَإِنَّ أَصدَقَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيرَ الهَدي هَديُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحدَثَةٍ بِدعَةٌ، وَكُلَّ بِدعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالةٍ فِي النَّارِ.

وبعد:

فقد اهتم العلماء -رحمهم الله تعالىٰ- بموضوع (السُّنَّة والبدعة وأثرهما علىٰ الأمة) اهتمامًا كبيرًا وأولوه عناية فائقة كبيرة، وعنايتهم بهذا الموضوع مستمدةٌ من عناية الشرع به؛ فإن الشارع الحكيم عني بموضوع السُّنَّة والبدعة، فبين أمر السُّنَّة ووضحه؛ فما تُوفِّيَ رسول الله ﷺ إلا وشأن السُّنَّة واضح وضوح الشمس في رابعة النهار.

واهتم -أيضًا- بالبدعة؛ ليحذرها الناس، وليجتنبوها؛ فلم يُتَوَفَّ رسول الله ﷺ إلا وقد بَيَّنَ البدعة، ووضحها للناس وضوحًا بينًا جليًّا لا لَبْسَ فيه.

والسنة: هي كل ما صدر عن النبي ﷺ من قول أو تقرير أو فعل أو هيئة أو نحو ذلك.

ثم إن العلماء المتأخرين جعلوا اصطلاحًا خاصًّا يشمله لفظ السُّنَّة.

فعلماء أهل السُّنَّة والجماعة جعلوا السُّنَّة لأمور العقائد؛ وذلك بيانًا لعظيم شأنها، وكبير خطرها، وأن الاعتماد فيها إنما هو علىٰ سنة رسول الله ﷺ، ولهذا تتابع العلماء في التأليف علىٰ السُّنَّة، وَعَنوا بذلك أمور المعتقد.

ومنهم -كعلماء الأصول- مَنْ ذهب إلىٰ أن السُّنَّة ما يقابل الواجب؛ فهي: ما يُثاب فاعلُه، ولا يُعاقب تاركُه.

فسُنَّة رسول الله ﷺ هي مصدر من مصادر التشريع، وقد أمرنا الله ﷻ بالدخول في الإسلام كافة، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ﴾ [البقرة:٢٠٨].

والاهتمام بالسُّنَّة عمومًا فيه هو بناء الإسلام علىٰ البناء الصحيح الذي لا يقبل الله ﷻ من أحد سواه؛ فدين الإسلام دين مبني علىٰ أصلين: **الأول**: الإخلاص لله ﷻ. **والآخر**: المتابعة لرسول الله ﷺ.

فكل عمل يعمله عامل -مهما كان هذا العمل كبيرًا، وقد حقق صاحبه فيه الإخلاص- فإنه موقوف علىٰ متابعة رسول الله ﷺ.

وهذا الأمر كما أنه ﷺ قرره، فإن جميع الأنبياء قد قرروا

هذا الأمر وأكدوا عليه، وأن قبول العمل إنما يتوقف علىٰ الإخلاص ومتابعتهم.

فمقصود الشارع الحكيم -تبارك وتعالىٰ- في إرسال الرسل أن يتعبد الناس بطريقة الرسل، وأن ينتهجوا نهجهم، فمن لم يفعل ذلك فقد خاب وخسر، وضل عن طريق الهدىٰ والصواب.

ولما كان واقع الأمة في أمر التاسي واقعًا مريرًا؛ حيث إن الاهتمام بالتأسي برسول الله ﷺ يَضْعف شيئًا فشيئًا، فلا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه، وهذا الضعف في التأسي بالنبي ﷺ جرَّ الأمة إلىٰ ويلاتٍ.

منها: أن التأسي قد وقع بغيره -عليه الصلاة والسلام.

ومنها: أن ضعف التأسي بالنبي ﷺ جعل كثيرًا من الناس يلتمسون الأسوة والقدوة في غيره ﷺ، فهنا فَشَتِ الخلافاتُ بين الأمة، وكثرَ التناحر والتشاجر، وأيضًا حصل التقصير في التأسي الحقيقي بالنبي ﷺ، فإنه إذا جعل الأسوة رجلًا غير معصوم فإن النقص سوف يدخل علىٰ مَنْ تأسىٰ به شيئًا فشيئًا، لا سيما إذا طال العهد بهذا المتأسىٰ به.

والبدعة: هي أمر في الدين مُحدث لم يشرعه رسول الله ﷺ.

ومن هنا، نشأت البدع، ورُفِعَتْ راياتها، وعلت أصواتها في كل صقع من أصقاع البلدان، مخالفة لما كان عليه ﷺ.

ولذلك لو أن المسلمين عظَّموا رسولَ الله ﷺ التعظيم الواجب، فأحبوه -عليه الصلاة والسلام- محبة كاملة مُطلقة أكثر من محبتهم لأنفسهم ولأهليهم ولأولادهم، فجعلوه -عليه الصلاة والسلام- الأسوة الكاملة لهم، لما احتاجوا إلىٰ أن يلتمسوا الأسوة والقدوة في فلانٍ أو فلانٍ.

فكل بلاء جناه المسلمون إنما هو من جَرَّاء ترك التأسي بالنبي ﷺ، وإلا فإن المسلمين لما كانوا في الصدر الأول علىٰ اتباع سنة المصطفىٰ ﷺ كانوا أكثر الناس تماسكًا وترابطًا، وكانوا أقل الناس اختلافًا وتفريقًا للصف، أما لما نشأت الأهواء والبدع وخرجت الخوارج ونحوهم من أهل الضلال، فالتمس أتباع هذه الفرق قدوةً غير رسول الله ﷺ- بدأت المُشكلة في العالم الإسلامي؛ فبدأ التشاجر والتناحر والخلاف؛ فالاقتتال، والعياذ بالله.

فواجب المسلمين أن يهتموا بهذا الأمر، وأن يعنوا به

عناية كبيرة، وأن يقرر هذا الأمر علىٰ من معهم.

وقد بين كل هذه المعاني فضيلة الشيخ عبد السلام بن برجس رَحِمَهُ اللَّهُ.

ودعا إلىٰ الاعتناء بالسُّنَّة النبوية الشريفة إرضاء الله عَزَّوَجَلَّ وإدراكًا لثوابه بدخول الجنة والنجاة من النار.

فالأعمال الصالحة لابد أن يكون العبد مخلصًا لله عَزَّوَجَلَّ فيها، وهذا ما يُجمع عليه الناس عمومًا، وإذا تحقق فيه الإخلاص لله- فإنه لا بد أن يتحقق فيه أمر آخر، وهو المتابعة لرسول الله ﷺ.

وحذَّر طالب العلم من أنه قد يُشكل عليه أن هناك أعمالًا قد تتابع المسلمون عليها ولم يفعلها رسول الله ﷺ، وبيَّن أن العبرة في الشرع ليست بعمل العامل، وإنما هي بحجة العامل ومُستنده في الشرع.

فإن العمل إذا صدر من غير معصوم فهو عرضة للخطأ والصواب، وصوابه في متابعة السُّنَّة، وخطؤه في مخالفة السُّنَّة.

نعم، هذه السُّنَّة النبوية المطهرة الشريفة شملت كل دقيق وجليل، وكل صغير وكبير، فما من حكم تحتاجه الأمة في أي

زمان ومكان إلا وفي سنة رسول الله ﷺ ما يؤخذ منه حكم هذه الواقعة، ويستنبط منه حكم هذا الأمر.

فدين الله كامل وشامل بإكمال الله عَزَّوَجَلَّ له؛ فليس بحاجة إلىٰ أن يزيد فيه مَنْ يزيد، وأن يجتهد فيه من يجتهد، بغير نظرٍ إلىٰ نصوصه وأصوله ومقاصده.

وعليه فقد حث الشيخ عبد السلام بن برجس علىٰ الاهتمام بسنة رسول الله ﷺ وأنها مما ينبغي أن يتنافس فيه المسلمون، فإن كانت السُّنَّة علىٰ الوجوب وجب امتثالها وحرم مخالفتها، وإن كانت السُّنَّة علىٰ الندب والاستحباب فإنه ينبغي للمسلم أن يحرص عليها، وأن يهتم لها ما استطاع إلىٰ ذلك سبيلًا.

وعلىٰ المسلمين أن يعلموا أن اتباعهم لرسول الله ﷺ في كل صغيرة وكبيرة هو سر نجاتهم، وهو سر فلاحهم، وأنهم علىٰ قدر التفريط في اتباع سنة رسول الله ﷺ يكون النقص والضعف فيهم.

إلىٰ غير ذلك من هذه المسائل المهمة والضوابط الجليلة التي بيَّنها الشيخ عبد السلام بن برجس رَحِمَهُ اللَّهُ في هذه المحاضرة الرائعة.

ونظرًا لأهمية هذه المحاضرة ولما حَوَته من هذه الأصول المُهمة والحُجج القويَّة قمنا -بفضل الله تعالىٰ- بتفريغها وتحقيقها تحقيقًا علميًّا يليق بها وبمكانة الشيخ عبد السلام بن برجس العبد الكريم رَحِمَهُ اللَّهُ؛ لتخرج في هذه الصورة القشيبة، **واتبعنا في ذلك المنهج العلمي الآتي:**

١- تفريغ المحاضرة تفريغًا جيدًا، ثم مقابلة المحاضرة علىٰ المكتوب؛ ومراجعتها مراجعة علمية ولغوية دقيقة جدًّا.

٢- تفريغ كلام الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ وإثباته كما هو بنصِّه، إلا ما تَعَارف عليه أهلُ العلم في التفريغ من حذف بعض الكلمات أو الجمل المُكررة، أو إعادة ترتيب لبعض الجمل، أو إضافة بعض الكلمات؛ لإيضاح المعني واستقامته، وهذا في الغالب قليل جدًّا.

٣- عمل ترجمة للشيخ عبد السلام بن برجس العبد الكريم رَحِمَهُ اللَّهُ.

٤- إثبات الآيات القرآنية بالرسم العثماني، وعزوها إلىٰ مواضعها في المصحف الشريف.

٥- تخريج الأحاديث بمنهج موحَّد، وقد اعتمدنا في التخريجات علىٰ كتب الحديث ذات الترقيمات المعتمدة؛ كترقيم محمد فؤاد عبد الباقي رَحِمَهُ اللَّهُ، وقد اكتفينا بتخريج

الحديث إن كان في الصحيحين أو في أحدهما بذكر رقمه، وإن كان في غيرهما أوردنا حُكم الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ عليه غالبًا.

٥- تخريج الآثار من كتب التفاسير وكتب السُّنَّة، وعزو النقولات إلىٰ مصادرها من كتب أهل العلم.

٦- أثبتنا الأحاديث التي أوردها الشيخ أثناء التعليق بالمعنىٰ من كتب السُّنَّة بألفاظها؛ لتتضح الفائدة من ذِكرها.

٧- شرح الغريب من كتب الشروح المُعتمدة وكتب اللغة، وإضافة بعض التعليقات اللازمة ليكتمل المعنىٰ، مع إضافة بعض العناوين اللازمة؛ لإبراز ما بها من مسائل مهمة.

والله من وراء القصد، وهو المُوفِّق والهادي إلىٰ سواء السبيل.

وصلىٰ الله علىٰ نَبيِّنا مُحمَّدٍ، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين

الناشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ترجمة فضيلة الشيخ
عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم

اسمه ونسبه:

هو الشَّيخ الفاضل الفقيه، والعالم الأصوليُّ النَّبيه؛ أبو عبد الرَّحمن عبد السَّلام بن برجس بن ناصر آل عبد الكريم.

مولده ونشأته وبداية طلبه للعلم:

وُلد رَحِمَهُ اللَّهُ في عام (١٣٨٧هـ)، بمدينة الرِّياض؛ عاصمة المملكة العربيَّة السَّعوديَّة، حرسها الله وسائر بلاد المسلمين من كلِّ سوءٍ.

وَقَدْ نشأ في بيت ديانةٍ وصلاحٍ، وَتَميَّز رَحِمَهُ اللَّهُ منذ صغره بالذَّكاء والحَزْم، والجدِّ والاجتهاد؛ فحفظ القرآن، وبدأ يطلب العلم وهو في الثَّالثة عشرة من عُمُره، فَلقِي من مشايخه العناية والاهتمام؛ لما لمسوه من فضيلته من علامات التَّميُّز والنُّبوغ.

فـ«اشتهر رَحِمَهُ اللَّهُ منذ حداثته بفطنته وذكائه، ورغبته الشَّديدة في طَلَب العلم وتحصيله، فتوفَّرت له البيئة الصَّالحة، والرَّغبة الشَّديدة في طلب العلم، فاجتهد في طلب العلم، وَجَدَّ فيه، وسهر اللَّيالي، وواصل الأيَّام، ومضىٰ في طريقه قُدُمًا لا يرغب في شيءٍ غير العلم، ولا يريد شيئًا غير تحصيل العلم، فلا يكاد الواصفون يصفون شدَّة حِرْصِهِ وإقباله علىٰ العلم والتَّعلُّم، وهكذا نال حظًّا وافرًا من العلوم الشَّرعيَّة»[1].

«وكان يواظب علىٰ دروس العلماء، وعلىٰ مَنْ يشعر أنَّه له منه أدنىٰ فائدةٍ؛ طارحًا التَّحيُّز والتَّرفُّع، وواصل وثابر، وبذل جهده في سبيل ذلك حتَّىٰ نال في صباه ما لا يناله غيره في زمنٍ طويلٍ من علومٍ كثيرةٍ، وفنونٍ مختلفةٍ، ولم يقتصر في طلبه للعلم علىٰ فنٍّ واحدٍ، بل قرأ في فنونٍ كثيرةٍ؛ فقرأ في الحديث والعقائد والفقه والأصول والمصطلح وعلوم اللُّغة وغيرها»[2].

وقَدْ ذكر بعض الإخوة مِمَّن عرف الشَّيخ عبد السَّلام رَحِمَهُ اللَّهُ؛

---

(١) «إتحاف النبلاء» للشيخ راشد الزهراني سدده الله (١/ ٤٥).

(٢) «إتحاف النبلاء» (١/ ٤٦، ٤٧).

أنَّه كان يحفظ بعض المتون العلميَّة عن ظهرِ قلبٍ.

منها: «بلوغ المرام» للحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ، و«زاد المستقنع» للحجَّاوي رَحِمَهُ اللَّهُ، و«القصيدة النونيَّة» لابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ، و«الألفيَّة في النَّحو» لابن مالك رَحِمَهُ اللَّهُ.

دراسته النظامية:

تلقَّىٰ رَحِمَهُ اللَّهُ تعليمه بمدينة الرِّياض؛ فبعد المرحلة الابتدائيَّة الْتَحَق بالمعهد العلميِّ التَّابع لجامعة الإمام محمَّد ابن سعودٍ رَحِمَهُ اللَّهُ، ثمَّ الْتَحَق بكليَّة الشَّريعة من نفس الجامعة، فتخرَّج فيها في عام (١٤١٠هـ).

ثمَّ الْتَحَق بالمعهد العالي للقضاء، وتحصَّل فيه علىٰ درجة الماجستير برسالة بعنوان: «التَّوثيق بالعقود في الفقه الإسلاميِّ».

ثمَّ تحصَّل علىٰ درجة الدكتوراه عام (١٤٢٢هـ)، وكانت رسالته عبارةً عن تحقيقٍ لكتاب: «الفوائد المنتخبات شرح أخصر المختصرات» للشَّيخ عثمان بن جامع (م ١٢٤٠هـ) بالاشتراك.

مشايخه رَحِمَهُ اللَّهُ:

١- سماحة الشَّيخ العلَّامة إمام أهل السُّنَّة والجماعة في زمانه عبد العزيز بن عبد الله بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ (م ١٤٢٠هـ).

٢- الشَّيخ فقيه الزَّمان العلَّامة الأصوليُّ محمد بن صالح ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ (م ١٤٢١هـ).

٣- فضيلة الشيخ العلامة المحدث أحمد بن يحيىٰ النَّجمي رَحِمَهُ اللَّهُ.

٤- فضيلة الشَّيخ الدكتور عبد الله بن عبد الرَّحمن بن جبرين رَحِمَهُ اللَّهُ؛ لازمه أربع سنواتٍ.

٥- الشَّيخ المحدِّث العلَّامة عبد الله الدويش رَحِمَهُ اللَّهُ (م ١٤٠٩هـ)؛ قرأ عليه في فترة الإجازات النِّظاميَّة في بريدة.

٦- فضيلة الشَّيخ العلامة الفقيه صالح بن عبد الله الأطرم رَحِمَهُ اللَّهُ؛ قرأ عليه في كلِّيَّة الشَّريعة.

٧- فضيلة الشَّيخ فهد الحمين حفظه الله؛ قرأ عليه في التَّوحيد والفقه.

٨- الشَّيخ الفقيه الأصوليُّ العلَّامة عبد الله بن عبد الرَّحمن ابن غديان رَحِمَهُ اللَّهُ؛ درس عليه في المعهد العالي للقضاء.

المناصب التي تقلدها:

١- عُيِّن مُدرِّسًا في المعهد العلميِّ بالقويعيَّة (١٧٠ كم غرب الرِّياض)، وهذا بعد تَخرُّجه في كلِّيَّة الشَّريعة عام (١٤١٠هـ).

٢- عُيِّن قاضيًا بوزارة العدل، ولكنَّه طلب الإعفاء.

٣- ثمَّ رشِّح في ديوان المظالم بمدينة جُدَّة، فلم يمكث فيه إلَّا أسبوعًا واحدًا، فتركه رغبةً في السَّلامة رَحِمَهُ اللَّهُ.

٤- ثمَّ عاد مُحاضرًا في المعهد العالي للقضاء بالرِّياض.

٥- ثمَّ عُيِّن أستاذًا مساعدًا بعد نَيْله لدرجة الدكتوراه، ولم يزل في منصبه حتَّىٰ وافته المَنيَّة رَحِمَهُ اللَّهُ، جعل اللهُ كلَّ ما قدَّمه في ميزان حسناتهِ يوم القيامة.

من مؤلفاته:

١- «الحجج القوية علىٰ أن وسائل الدعوة توقيفية».

٢- «معاملة الحكام في ضوء الكتاب والسُّنَّة».

٣- «منهاج أهل الحق والاتباع».

٤- «الأحاديث النَّبويَّة في ذمِّ العنصريَّة الجاهليَّة»، ط.

بتقديم معالي الشَّيخ د/ صالح الفوزان.

٥- «الإعلام ببعض أحكام السَّلام»، ط. في كُتيِّبٍ لطيفٍ.

٦- «الأمر بلزوم جماعة المسلمين وإمامهم والتَّحذير من مفارقتهم».

٧- «إيقاف النَّبيل علىٰ حكم التَّمثيل».

وفاته رَحِمَهُ اللَّهُ:

تُوفِّي الشَّيخ عبد السَّلام بن برجس رَحِمَهُ اللَّهُ مساء يوم الجمعة (١٢صفر١٤٢٥هـ)، وهذا في حادث سَيَّارةٍ إثر ارتطامه بأحد الجِمَال السَّائمة في طريق عودته إلىٰ الرِّياض قادمًا إليها من الإحساء، فرحمه الله رحمةً واسعةً.

وكان عُمُره حين وفاته رَحِمَهُ اللَّهُ (٣٨) عامًا[1].

موقع الشيخ:

www.burjes.com

(١) هذه الترجمة مستلة من «نزهة الأنفس في سيرة الشيخ عبد السلام بن برجس» إعداد/ فريد المرادي.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إنَّ الحَمدَ لله، نَحمَدُهُ، وَنَستَعِينُهُ، وَنَستَغفِرُهُ. وَنَعُوذُ بِالله مِن شُرُورِ أَنفُسِنَا وَمِن سَيِّئَاتِ أَعمَالِنَا، مَن يَهدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُضلِل فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشهَدُ أَن لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠، ٧١].

أَمَّا بَعدُ:

فَإِنَّ أَصدَقَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيرَ الهَدي هَديُ

مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحدَثَةٍ بِدعَةٌ، وَكُلَّ بِدعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ.

وبعد:

لقد اهتم العلماء -رحمهم الله تعالىٰ- بموضوع (السُّنَّة والبدعة وأثرهما علىٰ الأمة) عناية فائقة كبيرة، وعنايتهم بهذا الموضوع مستمدةٌ من عناية الشرع به.

فإن الشارع الحكيم عني بموضوع السُّنَّة والبدعة، فبين أمر السُّنَّة ووضحه؛ فما تُوفِّيَ رسول الله ﷺ إلا وشأن السُّنَّة واضح وضوح الشمس في رابعة النهار.

واهتم -أيضًا- بالبدعة؛ ليحذرها الناس، وليجتنبوها؛ فلم يُتَوَفَّ رسول الله ﷺ إلا وقد بَيَّنَ البدعة، ووضحها للناس وضوحًا بينًا جليًّا لا لَبْسَ فيه.

إنَّ الشَّارع الحكيم راعىٰ التذكير للمسلمين ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٩﴾ [الأعلىٰ:٩]، والتذكير يكون لأمر قد سبق بيانه وتوضيحه، ومن هنا كان النَّبِيُّ ﷺ يتخَلَّل أصحابه بالموعظة مخافةَ السآمة عليهم[1]، فهو ﷺ يذكرهم، ويسترجع معهم ما

---

(١) أخرج البخاري (٧٠)، ومسلم (٢٨٢١) عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان يذكر الناس في كل خميس فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن لوددت أنك ذكرتنا =

كان متقرِّرًا في أذهانهم، ومعلومًا لديهم.

أيضًا فإن رسول الله ﷺ قد جعل هذا الموضوع وصيته لأمته في آخر أيام حياته -صلوات الله وسلامه عليه[1]- فكانت العناية به والاهتمام به (مذاكرةً ومدارسةً، وتطبيقًا وعملًا) من أهم ما يتجه إليه المسلم ويسعىٰ عليه.

من هنا؛ فإن أهل العلم لم يزالوا -بحمد الله- يُكرِّرون الحديث عن هذا الأمر؛ لأن حاجة الناس إليه حاجة ماسَّة، بل هي حاجة تفوق حاجتهم إلىٰ الطعام والشراب والنَّفَس.

تعريف السنة:

تعريف السنة: هي كل ما صدر عن النَّبِيِّ ﷺ من قول أوفعل أوتقرير أو هيئة أو نحو ذلك.

=

كل يوم؟ قال: «أما إنه يمنعني من ذلك أني أكره أن أُمِلَّكُمْ، وإني أتخولكم بالموعظة، كما كان النبي ﷺ يتخولنا بها؛ مخافة السآمة علينا».

(١) أخرج البخاري (٤٣٥) عن عائشة، وعبد الله بن عباس، قالا: لما نزل برسول الله ﷺ طَفِقَ يطرح خميصة له علىٰ وجهه، فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه، فقال وهو كذلك: «لَعْنَةُ الله عَلَىٰ اليَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ» يحذر ما صنعوا.

فالعلماء يعنون بالسُّنَّة: جميع ما شرعه رسول الله ﷺ، وكان هذا الاصطلاح معهودًا في لسان الشارع، معهودًا في الصدر الأول من الإسلام، فالسُّنة تُطلق علىٰ الإسلام كله، ولهذا قال النَّبِيُّ عليه الصلاة والسلام: «فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي؛ فَلَيْسَ مِنِّي»(١).

ثم إن العلماء المتأخرين جعلوا اصطلاحًا خاصًّا يشمله لفظ السُّنَّة.

فعلماء أهل السُّنَّة والجماعة جعلوا السُّنَّة لأمور العقائد؛ وذلك بيانًا لعظيم شأنها، وكبير خطرها، وأن الاعتماد فيها إنما هو علىٰ سنة رسول الله ﷺ، ولهذا تتابع العلماء في التأليف علىٰ السُّنَّة، وَعَنوا بذلك أمور المعتقد.

ومنهم -كعلماء الأصول- مَنْ ذهب إلىٰ أن السُّنَّة ما يقابل الواجب؛ فهي: ما يُثاب فاعلُه، ولا يُعاقب تاركُه.

الأمر بالدخول في الإسلام كافة:

فسُنَّة رسول الله ﷺ هي مصدر من مصادر التشريع، وقد

(١) أخرجه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

أمرنا الله ﷻ بالدخول في الإسلام كافة، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِي ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾ [البقرة:٢٠٨]، أي: ادخلوا في جميع الإسلام، في تشريعاته المتعلقة بالأمور الكبار، وفي تشريعاته المتعلقة بما هو دونها.

إن الإسلام لم يُفرِّق بين صغير ما أَمَرَ به، وبين كبير ما أَمرَ به من حيث الاهتمام والحثِّ علىٰ المسارعة إلىٰ العمل، أما ما أَمَرَ به أَمْرَ إيجابٍ فإنَّه يرتب عقابًا علىٰ مَنْ تركه، وما أمر به أَمْرَ استحبابٍ فإنه يرتب ثوابًا لمن فعله.

ويظهر ذلك في أنَّ الإسلام يرعىٰ جميع ما صدر عنه من تشريعات فَقَدْ جعل حدًّا قويًّا لمن يسيء إلىٰ شيء من شعائر الإسلام؛ فمن استهزأ بالصلاة كَفَرَ، فيُقتل لذلك، ومن استهزأ بتقليم الأظافر[1] الذي سَنَّه رسول الله ﷺ فإنه يَكفر، ويُقتل علىٰ ذلك، وهذا يبين أن الإسلام يرعىٰ جميع ما شرعه علىٰ حد سواء.

---

(١) أخرج البخاري (٥٨٩١)، ومسلم (٢٥٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «الفِطْرَةُ خَمْسٌ: الخِتَانُ، وَالاسْتِحْدَادُ، وَقَصُّ الشَّارِبِ، وَتَقْلِيمُ الأَظْفَارِ، وَنَتْفُ الآبَاطِ».

فمن هنا؛ فإن الاهتمام بالسُّنَّةِ -جملةً وتفصيلًا- هو دأب المسلم، وهو أعلىٰ ما يتمنىٰ المسلم أن يقوم به، وأولىٰ ما يتسابق المسلم للتنافس في تحصيله؛ فإن الدخول في سنة رسول الله ﷺ كافة دليل علىٰ تعظيم شخص رسول الله ﷺ، وتعظيمُهُ -عليه الصلاة والسلام- ومحبته أمرٌ حتمٌ علىٰ كل مؤمن ومؤمنة، بل لا يدخل في دين الإسلام من لم يرعَ ذلك، ويَقُمْ به.

فالاهتمام بالسُّنَّة فيه التأسي به -عليه الصلاة والسلام- أسوةً كاملةً، وهو -عليه الصلاة والسلام- الأسوة، ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾ [الأحزاب:٢١]، فالتأسي به -عليه الصلاة والسلام- فيه إظهار الطواعية له -عليه الصلاة والسلام- علىٰ الإطلاق، ومَنْ أطاعه فقد نجا، ومن عصاه فقد خاب وخسر[1].

والاهتمام بالسُّنَّة عمومًا فيه -أيضًا- جانب آخر؛ وهو

---

(١) أخرج البخاري (٧٢٨٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ، قال: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَىٰ»، قالوا: يا رسول الله، ومن يأبىٰ؟! قال: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَىٰ».

بناء الإسلام علىٰ البناء الصحيح الذي لا يقبل الله ﷻ من أحد سواه؛ فدين الإسلام دين مبني علىٰ أصلين:

الأول: الإخلاص لله ﷻ.

والآخر: المتابعة لرسول الله ﷺ.

فكل عامل لا بد أن يرعىٰ هذين الأمرين، فيُحاسب نفسه في الإخلاص لله ﷻ، فإن كان عمله خالصًا لله، يُراد به وجه الله ﷻ، فإنه لا يكتفىٰ بذلك لتحقيق مصلحة الآخرة ودرء مفسدتها، لتحقيق دخول الجنة والنجاة من النار؛ بل لا بد من محاسبة أخرىٰ؛ وهي النظر في هذا العمل: هل هو موافق لشريعة الله وهدي رسول الله ﷺ أم لا؟

فإن كان العمل موافقًا للسنة؛ فإن ذلك دليل قبول هذا العمل، وأنه من العمل الصالح والكَلِم الطيب الذي يرفعه الله ﷻ إليه؛ إعلامًا بقبوله من عامله، وإن لم يكن هذا العمل متابعًا مخالفًا لسُنَّة رسول الله ﷺ، فإنه مردود علىٰ صاحبه مهما كان حجم إخلاصه لله ﷻ.

وهذا أمر قرره الشارع الحكيم في نصوص واضحة من الكتاب والسُّنَّة، وأجمعت عليه الأمة المحمدية؛ فلا ترىٰ اختلافًا بين علماء الأمة في العناية بهذين الأمرين والاهتمام بهما.

اتباع الرسول ﷺ هو سر النجاة والفلاح:

ولهذا؛ فإن الله ﷻ أنزل الكتاب (القرآن) علىٰ رسوله ﷺ؛ لنتعبد الله ﷻ به علىٰ ما فسره به رسول الله ﷺ بأقواله وأفعاله وتقريراته وتروكه وهيئته -عليه الصلاة والسلام- وإن لم يكن العمل علىٰ هدي رسول الله ﷺ ركنًا من أركان قبول العمل؛ لما كان في تخصيص إرسال الرسل -ومنهم النَّبِيُّ ﷺ- كبير فائدة.

ولهذا؛ قال الله ﷻ: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ [الأعراف:٣]؛ فنهانا الله ﷻ عن اتباع غير كتاب الله ﷻ المنزَّل علىٰ رسول الله ﷺ.

وفي آية محكمة أمر الله ﷻ بطاعته وطاعة رسوله بالنص: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء:٥٩].

بل أمرنا في حال الاختلاف أن نَرَدَّ جميع الخلاف إلىٰ رسول الله ﷺ، فإن كان حيًّا يُرَدُّ إلىٰ شخصه الكريم المُعظَّم -عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم- وإن كان بعد وفاته -عليه الصلاة والسلام- يُرَدُّ الخلاف إلىٰ سنته، فإن

كانت ناطقةً بحسم الخلاف وجب المصير إليها، وإلا نظر في فهوم صحابته الكرام وتابعيهم بإحسان إلىٰ يوم الدين في نصوصه عليه الصلاة والسلام.

وهذا في كتاب الله ﷻ واضح بَيِّنٌ، أما في السُّنَّة المطهرة فإنه -عليه الصلاة والسلام- جعل لهذا الجانب شأنًا عظيمًا؛ فجاءت أحاديث -قوليةً كانت أو فعليةً، أو علىٰ سبيل التقرير- مدعمةً لهذا الأصل، مقررةً له في نفوس المسلمين.

فهو -عليه الصلاة والسلام- يقرر في نفوس المسلمين أنهم لا يعبدون الله ﷻ إلا عن طريقه -عليه الصلاة والسلام- ويقرر أن كل عمل اجتهد صاحبه فيه ولم يكن علىٰ وفق ما جاء به النَّبِيُّ ﷺ فهو مردود غير مقبول.

فهو -عليه الصلاة والسلام- يقول في حديث عائشة رضي الله عنها المعروف: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيسَ عليهِ أمرُنا فهوَ رَدٌّ**»(١).

فكل عمل يعمله عامل -مهما كان هذا العمل من درجة عالية في المشقة، أو صفة كبيرة في الإخلاص لله ﷻ- فإنه موقوف علىٰ متابعة رسول الله ﷺ.

---

(١) أخرجه مسلم (١٧١٨).

ولهذا؛ فإن النفر الذين جاؤوا فسألوا عن عبادة رسول الله ﷺ فتقالُّوها؛ فقال أحدهم: «أنا أصوم ولا أفطر»، وقال الآخر: «أنا أترك النساء وأدع الزواج»، وقال الآخر: «أنا أقوم الليل فلا أرقد»، فلما بلغ ذلك النَّبِيَّ ﷺ استنكر فعلهم وأبطله؛ غاضًّا النظر عن دوافع هذا العمل، وعن مدىٰ إخلاص الدين فيه لله ﷻ، فأخبر ﷺ أنه مَنْ رغب عن سنته فليس منه(١).

وهذا الأمر كما أنه ﷺ قرره، فإن جميع الأنبياء قد قرروا هذا الأمر وأكدوا عليه، وأن قبول العمل إنما يتوقف علىٰ الإخلاص ومتابعتهم.

---

(١) أخرج البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهط إلىٰ بيوت أزواج النبي ﷺ، يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أُخبروا كأنهم تقالُّوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ؟ قد غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخر. قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدًا. وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر. وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا. فجاء رسول الله ﷺ إليهم، فقال: «**أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني**».

ولهذا؛ فإن النصارىٰ لما ابتدعوا بدعًا، وجعلوا عباداتٍ شاقةً يتحملونها لم يشرعها لهم عيسىٰ -علىٰ نبينا وعليه أفضل الصلاة وأتم التسليم- أنكر الله عَزَّوَجَلَّ ذلك عليهم، وأنكر ذلك عليهم رسولهم عيسىٰ -علىٰ نبينا وعليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

ولهذا؛ قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد:٢٧]، والمعنىٰ: أن النصارىٰ ابتدعوا رهبانية لم يبتدعوها إلا ابتغاء رضوان الله؛ فعاقبهم الله عَزَّوَجَلَّ لأنهم لم يرعوها حق رعايتها.

فالبدعة قرينة لإحباط عمل السُّنَّة وتقليله في نفوس مَنْ قامت به هذه البدعة، فلما ابتدعوا الرهبانية ولم يشرعها لهم عيسىٰ -عليه الصلاة والسلام- ضربهم الله عَزَّوَجَلَّ بالعقوبة الأولىٰ في هذه الدنيا؛ وهو أنهم لم يرعوها حقَّ رعايتها.

وهذا هو حال أهل البدع والأهواء، يبتدعون بدعًا، ثم لا يستطيعون القيام بها.

فهذا شق من عقوبتهم: أنهم لما ابتدعوا هذه الرهبانية تركوا سنن عيسىٰ -عليه الصلاة والسلام.

وأما الشق الآخر؛ فهي العقوبة الصارمة لهم في الآخرة بأنهم عبدوا الله على غير ما شرعه لهم رسولهم ﷺ، فلهذا نزل فيهم قول الله عز وجل: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤﴾ [الغاشية:٢-٤].

رأى عمر بن الخطاب رضي الله عنه أحد أَسَاقفتهم وهو في صومعة له، يجتهد ويكثر الصلاة والبكاء من خشية الله، فبكى عمر، فسئل: لِمَ بكيت؟ فقال: ذكرت قول الله عز وجل: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤﴾[1].

فهنا مقدمتان ونتيجة: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۝٢﴾ تعلوها الخشية، وهي -أيضًا- ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣﴾ بمعنى: أنها دأبت في عمل الخير، واجتهدت فيه حتى بلغت بها المشقة ما بلغت، ولهذا قال الله عز وجل: ﴿نَّاصِبَةٌ﴾ وهو لفظ يدل على شدة التعب في أداء هذه العبادة، فما النتيجة من هذا العمل؟

إن النتيجة على عكس المتوقَّع، فقد كان جزاؤهم: ﴿تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾؛ فهي تدخل النار ولو كانت خشعت

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٥٦٧) (٣٩٢٥).

وبكت، ولو كانت نصبت في الطاعة والعبادة؛ لأنها أخلَّت بركنٍ من أركان العبادة، وهو المتابعة.

إذًا؛ فمقصود الشارع الحكيم -تبارك وتعالىٰ- في إرسال الرسل أن يتعبد الناس بطريقة الرسل، وأن ينتهجوا نهجهم، فمن لم يفعل ذلك فقد خاب وخسر، وضل عن طريق الهدىٰ والصواب.

ومن هنا؛ فإن النَّبِيَّ ﷺ لحرصه علىٰ أمته أن تأتي معه علىٰ الحوض يوم القيامة، ولحرصه وشفقته علىٰ أمته لتدخل الجنة وتَسْلم من النار[1]؛ فإنه عني بتقرير هذا الأمر لهم وتوضيحه، حتىٰ إنه لم يخْلُ أحدٌ آنذاك -من الصغار والكبار، من الرجال والنساء، من العجائز والشباب- إلا وقد علمه وعرفه وأتقنه؛ فأحسن العمل علىٰ ضوئه.

---

(١) أخرج البخاري (٦٤٨٣)، ومسلم (٢٢٨٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**إنما مثلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد نارًا، فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها، فجعل ينزعهن ويغلبنه فيقتحمن فيها، فأنا آخذ بحجزكم عن النار، وهم يقتحمون فيها**».

وصية النبي ﷺ: الأمر بالسنة، والتحذير من البدعة:

فهو -عليه الصلاة والسلام- في الموعظة العظيمة البليغة التي رواها العرباض بن سارية: أنه -عليه الصلاة والسلام- وعظهم، فأحسوا أنها موعظة مودع؛ قالوا له: يا رسول الله، أوصنا، فأوصاهم النَّبِيُّ ﷺ بتقوىٰ الله، والسمع والطاعة، ثم ذكر لهم هذه القضية التي نحن بصددها؛ فقال: «**فعليكم بسُنَّتي، وسُنَّة الخلفاء الرَّاشدين المَهْديين من بعدي، تَمَسَّكوا بها، وعَضُّوا عليها بالنَّوَاجِذ، وإيَّاكم ومُحدثاتِ الأمور؛ فإنَّ كلَّ مُحدثة بِدعة**»[1].

فهو -عليه الصلاة والسلام- جمع لهم الأمر بالسُّنَّة، والتحذير من البدعة؛ لأن القضية إما أن تكون اتباعًا لسنة رسول الله ﷺ، وإما أن تكون ابتداعًا للبدع والأهواء والآراء، فهما ضدان، إذا وجد أحدهما انتفىٰ الآخر، ولهذا، فإن السلف دائمًا يذكرون أنه ما عمل قوم ببدعة إلا رفعت

---

(١) أخرج أبو داود (٤٦٠٧) عن العرباض رضي الله عنه، وصححه الألباني في «صحيح وضعيف سنن أبي داود».

عنهم من السُّنَّة مثلها، وهذا جاء عن ابن عباس[(١)]، ورُوي مرفوعًا، ولم يثبت[(٢)].

إذًا؛ النَّبِيُّ ﷺ في هذه الوصية العظيمة جمع بين الأمر بالسُّنَّة، والتحذير من البدعة، فهو -عليه الصلاة والسلام- أمر بالسُّنَّة، وفي أمره بالسُّنَّة إشارات لطيفة تفصل الخلاف الذي سيقع، والذي تنبأ به الرسول ﷺ، فهو -عليه الصلاة والسلام- أمر بسنته، وأمر بسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده، فسنة رسول الله ﷺ واجبة الاتباع، وسنة الخلفاء من بعده واجبة الاتباع، وهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي رضي الله تعالىٰ عن الجميع وأرضاهم.

هذا ما قرَّره الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ؛ لأنه ثبت في الحديث

(١) أخرج الطبراني في «الكبير» (١٠/ ٢٦٢) (١٠٦١٠)، وابن بطة في «الإبانة الكبرىٰ» (١/ ١٧٧) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «ما يأتي علىٰ الناس عامٌ إلَّا أحْدَثوا فيه بدعة، وأماتوا فيه سُنَّة، حتىٰ تَحْيا البدع، وتَمُوت السُّنن».

(٢) أخرج ابن بطة في «الإبانة الكبرىٰ» (١/ ١٧٦) عن غُضَيف بن الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما ابتُدِعت بدعةٌ إلا رُفعت مِثلُها من السُّنَّة»، وأخرج أحمد (٤/ ١٠٥) (١٧٠١١) عن غضيف بن الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «ما أحدث قومٌ بدعة إلَّا رُفِع مثلُها من السُّنَّة، فَتَمَسُّكٌ بسنة خير من إحداث بدعة»، وضعفه الألباني في «ضعيف الترغيب والترهيب» (٣٧).

عنه ﷺ أن الخلافة بعده ستكون ثلاثين عامًا[1]، فهي خلافة الخلفاء الأربعة.

ولأجل أن هذا الفهم صحيح؛ فإن مما يُحْمد لعمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ أنه أمر باتباع سنة رسول الله ﷺ، وسنة وُلاة الأمر من بعده، ويعني بهم الخلفاء الراشدين الذين نص عليهم النَّبِيُّ ﷺ.

الاتباع المُطلق إنما يكون لمن نص عليه النَّبيُّ ﷺ:

ففي أمره ﷺ باتباع سنة الخلفاء الراشدين تنبيهٌ إلىٰ أن الاتباع المُطلق إنما يكون لمن نص عليه النَّبِيُّ ﷺ، وأن ما عداهم من العلماء والفضلاء فإن اتباعهم ليس علىٰ الإطلاق، وأن مَنْ أوجب اتباع أحد من العلماء وفضلاء الأمة بعد الخلفاء الراشدين فإنه قد خالف هذا النص الصريح من رسول الله ﷺ.

---

(١) أخرج أبو داود (٤٦٤٦) عن سفينة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم يُؤتي اللهُ المُلك -أو- مُلْكه- مَن يشاء»، وقال الألباني في «صحيح وضعيف سنن أبي داود»: «حسن صحيح».

فهو ﷺ في هذا الحديث تَنَبَّأَ بما سيحدث في أمته من الاختلاف؛ فجعل لهم الفيصل من هذا الخلاف؛ وهو اتباع سنته، واتباع سنة الخلفاء الراشدين.

فاقتصاره علىٰ ذلك دليل علىٰ أن من جاء بعدهم من أهل العلم والفضل فإن قولهم مردودٌ إلىٰ السُّنَّة وإلىٰ عمل الخلفاء الراشدين، فمن وافق فقد وُفِّقَ للصواب، ومن خالف فإن قوله غير مقبول منه وإن كان مبجلًا؛ لأن الاحترام والتبجيل لا ينافي رد القول المخالف علىٰ قائله، فهذا شق.

والشق الآخر قوله ﷺ: «**وإيَّاكم ومُحْدَثات الأمور**» هذا بيان أن المُحْدَثات سوف تَخْرج، وتَفْشُو، وتَعَمُّ، فكيف يتعامل المسلم معها؟ وكيف يدرؤها؟

يدرؤها بعرض النوازل علىٰ سنة رسول الله ﷺ، وما جاء عن الخلفاء الأربعة الراشدين المهديين، فإن التعبير بقوله ﷺ: «**عَضُّوا عليها بالنَّواجِذ**» دليل علىٰ أن التمسك بها بقوة هو المطلوب، ودليل علىٰ أن من لم يتمسك بها بهذه القوة فيعض عليها بالنواجذ مهملًا كل الإرهاصات، وكل الشُّبه القوية التي تثار بين آونة وأخرىٰ للتشكيك أو للتقليل

من هذا الاهتمام بالسُّنَّة -سنته عليه الصلاة والسلام وسنة الخلفاء الراشدين- فسوف يقع في مغبة هذه الشبهات، وفي هذه الحبال التي يزينها الشيطان، وينفخ فيها؛ ليضل الأمة عن طريق الله ﷻ، وعن هدي رسول الله ﷺ.

الواقع المرير:

إن واقع الأمة في هذا الأمر واقع مرير؛ حيث إن الاهتمام بالتأسي برسول الله ﷺ يَضْعف شيئًا فشيئًا، فلا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه -كما أخبر بذلك المصطفىٰ ﷺ[1]- وهذا الضعف في التأسي بالنَّبِيِّ ﷺ جرَّ الأمة إلىٰ ويلاتٍ.

ضعف التأسي بالنَّبيِّ ﷺ وعواقبه:

منها: أن التأسي قد وقع بغيره -عليه الصلاة والسلام.

ومنها: أن ضعف التأسي بالنَّبِيّ ﷺ جعل كثيرًا من الناس يلتمسون الأسوة والقدوة في غيره ﷺ، فهنا فَشَتِ

---

(١) أخرج البخاري (٧٠٦٨) عن الزبير بن عدي قال: أتينا أنس بن مالك فشكونا إليه ما نلقىٰ من الحجاج! فقال: «**اصبروا، فإنه لا يأتي عليكم زمان إلا الذي بعده شرٌّ منه حتىٰ تلقوا ربكم**»، سمعته من نبيكم ﷺ.

الخلافاتُ بين الأمة، وكثرَ التناحر والتشاجر، وأيضًا حصل التقصير في التأسي الحقيقي بالنَّبِيِّ ﷺ، فإنه إذا جعل الأسوة رجلًا غير معصوم فإن النقص سوف يدخل علىٰ مَنْ تأسىٰ به شيئًا فشيئًا، لا سيما إذا طال العهد بهذا المتأسىٰ به.

ومن هنا، نشأت البدع، ورُفِعَتْ راياتها، وعلت أصواتها في كل صقع من أصقاع البلدان.

فلو أن المسلمين عظَّموا رسولَ الله ﷺ التعظيم الواجب، فأحبوه -عليه الصلاة والسلام- محبة كاملة مُطلقة أكثر من محبتهم لأنفسهم ولأهليهم ولأولادهم، فجعلوه -عليه الصلاة والسلام- الأسوة الكاملة لهم، لما احتاجوا إلىٰ أن يلتمسوا الأسوة والقدوة في فلانٍ أو فلانٍ.

ثم إن ضعف التأسي بالنَّبِيِّ ﷺ هو قاعدةٌ من قواعد الاختلاف المذموم الموجود في هذه الأمة، فإن الرد إذا لم يكن إلىٰ سنة رسول الله ﷺ وإلىٰ خلفائه الراشدين، أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم فإنه -ولا ريب- سوف تفشو الخلافات، ويكثر النزاع، فتصاب الأمة بالتفرق، ثم يتطور ذلك إلىٰ وجود الحقد، ثم يتطور ذلك إلىٰ وجود التكفير والتضليل، ثم إلىٰ القتال وإراقة الدماء.

فكل بلاء جناه المسلمون إنما هو من جَرَّاء ترك التأسي بالنَّبِيِّ ﷺ، وإلا فإن المسلمين لما كانوا في الصدر الأول علىٰ اتباع سنة المصطفىٰ ﷺ كانوا أكثر الناس تماسكًا وترابطًا، وكانوا أقل الناس اختلافًا وتفريقًا للصف، أما لما نشأت الأهواء والبدع وخرجت الخوارج ونحوهم من أهل الضلال، فالتمس أتباع هذه الفرق قدوةً غير رسول الله ﷺ- بدأت المُشكلة في العالم الإسلامي؛ فبدأ التشاجر والتناحر والخلاف؛ فالاقتتال، والعياذ بالله.

آثار التأسي برسول الله ﷺ:

وكما أن ترك التأسي برسول الله ﷺ يترك في الأمة خللًا واضحًا بَيِّنًا، فإن الالتزام به يترك في الأمة التحامًا وقوةً لا نظير لهما؛ فقد عبر ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله: «إن السُّنَّة عنوان الاجتماع، وإن البدعة عنوان الافتراق»، وهذا مرويٌّ عن ابن مسعود وغيره من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

فإذًا، التأسي به ﷺ يثمر في الأمة تلاحمًا وترابطًا وتراصًّا في الصفوف، كما أن ضعف التأسي به ﷺ يحدث من الأضرار ما قد ذكرت.

فواجب المسلمين أن يهتموا بهذا الأمر، وأن يعنوا به عناية كبيرة، وأن يكرروا هذا الأمر علىٰ من معهم؛ ليصل إلىٰ العجائز في دورهن، وإلىٰ جميع النساء، وإلىٰ جميع عوام المسلمين، فضلًا عن علمائهم وطلبة العلم منهم، ويكون الأسلوب والبيان في ذلك أسلوبًا مستمدًّا من النصوص الشرعية التي هي في غاية البيان والتوضيح، ومعتمدًا علىٰ تنبيه العقول وانتباهها؛ لأنها عقولٌ إذا أُثير انتباهها علمت الحق وأرشدت إليه بإذن الله ﷻ.

فهذه السُّنَّة النبوية الشريفة إذا لم نعتنِ بها فإن الخلل سوف يكون في أعمالنا، فنحن نعمل لأجل رضاء الله ﷻ وإدراك ثوابه بدخول الجنة والنجاة من النار، فمَنْ هذا شأنه وهذا عمله أفلا يكون حقيقًا به أن ينظر إلىٰ عمله كيف يكون، وهل عمله هذا صحيح يبلغه ما أراد؟ أم أنه عملٌ ينقطع به فيتخلف عنه في ساعة هو أحوج ما يكون إلىٰ هذا العمل؟

وأضرب مثالًا بالذين يريدون أن يعملوا شيئًا من أمور الدنيا -كبناء العمارات أو نحوها- فإنهم لا يُقْدِمون علىٰ هذا العمل إلا بعد الاسترشاد، وبعد الاستشارات من مهندس

إلىٰ آخر، فإن بلغت نفقته إلىٰ أعلىٰ المهندسين ذهب إليه ولو كان خارج البلاد!

فإذا كان يفعل ذلك في أمور الدنيا التي سوف تزول وتنقضي، أفلا يليق بعقله الذي دلَّه علىٰ ذلك أن يتجه إلىٰ السؤال عن أعمال الآخرة التي هي الأعمال الباقية، وهي الأعمال الدائمة، وهي التي سوف يجازىٰ عليها الإنسان، إن خيرًا فخير، وإن سوءًا فسوء؟!

لا ريب أن كل مؤمن يؤمن بالله واليوم الآخر سوف يلحظ هذا الملحظ، فمن هنا قال الله ﷻ: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ﴾ [النحل:٤٣، ٤٤]، فأرشد جمهور الأمة من العامة إلىٰ السؤال، كما أرشد العلماء إلىٰ التعلم وطلب العلم، ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، وسؤال أهل الذكر يكون ببذل الوسع، بانتقاء العالِم الأحوط الصالح الذي يكون أقرب إلىٰ سنة رسول الله ﷺ من غيره.

الإخلاص والمتابعة:

إن الأعمال الصالحة لا بد أن تكون مخلصًا لله ﷻ فيها، وهذا ما يجمع عليه الناس عمومًا، وإذا تحقق فيك

الإخلاص لله فإنه لا بد أن يتحقق فيك أمر آخر، وهو المتابعة لرسول الله ﷺ، ولهذا قال النَّبِيُّ ﷺ: «من عمل عملًا ليس عليه أمرُنا فهو رَدٌّ»[1]، فكل عمل لم يعمله رسول الله ﷺ ولم يعمله الخلفاء الراشدون فهو مردود علىٰ صاحبه مهما بلغ في الاجتهاد فيه.

ولا يُشكل عليك أن هناك أعمالًا قد تتابع المسلمون عليها ولم يفعلها رسول الله ﷺ؛ فإن العبرة في الشرع ليست بعمل العامل، وإنما هي بحجة العامل ومُستنده في الشرع.

فلو أننا قلنا: إن هذه الأعمال التي تتابع عليها المسلمون مشروعة مع أن رسول الله ﷺ لم يعمل بها، فإنه يلزمنا - أيضًا- أن نقرَّ أعمالًا كثيرة باطلة تتابع عليها كثير ممن ينتسبون إلىٰ الإسلام، وليسوا من الإسلام في شيء.

إذًا؛ لا بد أن ننظر إلىٰ حجة العمل ومستنده ودليله، لا إلىٰ العمل؛ فإن العمل إذا صدر من غير معصوم فهو عرضة للخطأ والصواب، وصوابه في متابعة السُّنَّة، وخطؤه في مخالفة السُّنَّة.

---

(١) أخرجه مسلم (١٧١٨).

ولهذا، فإن الصحابة رضي الله عنهم انتبهوا لهذا الأمر، فلما وقع في زمنهم القصص وكثر القُصَّاص بالرغم من أن القصص ظاهرها ذكر الله عز وجل، ونفع الناس، وإرشادهم، وترقيق قلوبهم، ولكن كل ذلك لم يكن علىٰ قاعدة شرعية ومستند شرعي يتكئ عليه الصحابة في تسويغ هذا العمل وفي شرعيته، بل كان الصحابة في جملتهم ضده.

ولهذا، فإن معاوية رضي الله عنه لما رأىٰ قاصًّا في مكة استدعاه، وقال: «ما أمرك بالقَصِّ؟»، فقال: «علم أعطانا الله عز وجل إياه نبلغه الناس» -أو كلمة نحو ذلك- فلم تنطلِ هذه الكلمة الرقيقة وهذا الاستدلال الفج الواسع علىٰ هذا الصحابي الجليل الذي عني بمعرفة الأحاديث التي فيها افتراق الأمة، وعني بالأحاديث التي فيها المَخْرج من هذا الافتراق المذموم، فقال: «أما إني لو كنت قد أبلغتك قبل ذلك بأنك لا تقص- لقطعت عضوًا علىٰ أعضائك، ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يقص إلا أميرٌ أو مَأمورٌ أو مُخْتَالٌ»[1]، وفي لفظ:

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٦٥) عن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه، وقال الألباني في «صحيح وضعيف سنن أبي داود»: «حسن صحيح».

«أو مُرَاء»[1] في بعض الأحاديث، بمعنىٰ أنك لو قصصت علىٰ الناس وأنت لم تكن أميرًا أو لم تكن قد أمرت من قِبَل الأمير، فكأنك تريد أن تقول للناس: ها أنا ذا أتكلم، وأعرف الحديث، وأعرف الوعظ والتذكير.

إذًا، الصحابة رضي الله عنهم نظروا إلىٰ هذا الأمر: هل هو كان علىٰ عهد رسول الله ﷺ وعلىٰ عهد صحابته أم لا، فلما كان في أغلب صوره ليس عليه عمل النَّبِيِّ ﷺ، وليس عليه عمل الخلفاء الراشدين- منعوه، ولم يلتفتوا إلىٰ ما يُجنىٰ منه من فوائدَ.

ولهذا؛ فإن ابن تيمية في لفظ له لما قيل له: إن التغبير[2] والسماع شبكة يصاد بها العوام. قال: نعم، هذه شبكة، ولكنها شبكة مخرقة، سرعانَ ما يخرج منها الصيد.

إذًا، الصحابة رضي الله عنهم فهموا هذا الأمر، وأدركوا أن كل

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٧٥٣)، وصححه الألباني في «صحيح وضعيف سنن ابن ماجه».

(٢) سمي بذلك؛ لأنهم يأخذون جلودًا قديمة يَبِسَ عليها الغبار فيضربون عليها بالعصي فتحدث صوتًا كصوت الدف، فيترنَّمون به مع الأشعار، فسمي الفعل مع الإنشاد تغبيرًا؛ لأنه يظهر معه الغبار، وحقيقة التغبير: هي إنشاد الأشعار الزهدية مع استخدام الدفوف.

عمل لا بد أن يكون علىٰ عمل رسول الله ﷺ، فإن لم يكن كذلك فإنه مردود غير مقبول.

ونظائر ذلك في أقوال الصحابة وأقوال العلماء كثيرة جدًّا، فلا نريد أن نسترسل فيها وأن نستقصي، ولكن حسب المسلم أن يعلم أن القضية هي شرع الله، ودين الله، فعليه أن يجتهدَ في العمل علىٰ وفق ما جاء عن رسول الله ﷺ دون زيادة أو نقصان.

هذا نقوله لأهل الفِطَرِ السليمة الذين يقبلون الحق إذا بان لهم بالدليل الشرعي.

إن الكلَّ يَتَّفِقُ علىٰ قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣]، فالإسلام تام كامل لا يحتمل زيادةً، ولا يقبل نقصًا.

السنة النبوية شملت جميع ما يحتاجه المسلم في كل زمان ومكان:

وما دامت هذه القضية مُسَلَّمة، فلننظر في سنة رسول الله ﷺ: هل شملت جميع ما يحتاجه المسلم في كل زمان ومكان أم لا؟

نعم، هذه السُّنَّة النبوية المطهرة الشريفة شملت كل دقيقة

وجليلة، وجاءت علىٰ كل صغير وكبير، فما من حكم تحتاجه الأمة في أي زمان ومكان إلا وفي سنة رسول الله ﷺ ما يؤخذ منه حكم هذه الواقعة، ويستنبط منه حكم هذا الأمر.

وهذا الأمر -للأسف- قد فطن له أعداء الإسلام من اليهود والنصارىٰ، ويأتي من يأتي من المسلمين، فيقول: إن الشريعة الإسلامية لم تَفِ بجميع الأمور، بل هناك أمور يحتاج أن نزيدها وأن نكملها!

فهذا سلمان الفارسي رضي الله عنه يجيء إليه يهوديٌّ، فيقول: لقد علمكم رسولكم كل شيء حتىٰ الخراءة[1]؟! قال سلمان: نعم، علمنا ألَّا نستنجي باليمين، وألَّا نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار[2]. فأكد سلمان رضي الله عنه قول هذا اليهودي، وجاء بهذه الأمور؛ لأجل أن يزيده غيظًا وكمدًا.

فالإسلام الذي جاء ببيان أن المسلم لا يشرع له في حال دخول الخلاء أن يمسك ذَكَرَه أو أن تمسك المرأة فرجها بشمالها؛ لأن الحديث في الصحيحين: «نهي أن أن يمسك

(١) حتىٰ الخراءة: يعني: علَّمكم نبيُّكم كل شيء حتىٰ آداب قضاء الحاجة!
(٢) أخرجه مسلم (٢٦٢).

الرجل ذَكَره بيمينه وهو يبول»[١]، وقس عليه المرأة.

والإسلام الذي وضح علاقة الرجل بامرأته في الفراش[٢]، ووضح آداب الرجل في دخوله إلىٰ الخلاء، ووضح أمور الجهاد الكبار، ووضح أمور الجهاد الصغار، ووضح أمورًا يطول حصرها وعدُّها من آداب الأكل والشرب، كيف يتنفس المسلم إذا كان الإناء معه؛ فلا بد أن يبعد القدح عن فِيهِ، وهكذا من الأنظمة القوية الواضحة التي يحتاجها الناس وهي مقربة إلىٰ أذهانهم، وإذا التزموها كانوا في قمة التحضر والمدنية -إن صح التعبير.

قال: هذا الإسلام الذي جاء بهذه الأمور يغفل وسائل الدعوة إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ التي جاء الإسلام بها وحث عليها وأمر بها.

فهل الإسلام الذي جاء ببيان هذه الأمور وهذه الجزئيات الدقيقة يهمل ما يحتاج إليه المسلمون في الوصول

---

(١) أخرج البخاري (١٥٣) ومسلم (٢٦٧) -واللفظ له- عن أبي قتادة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يمسكن أحدكم ذكره بيمينه وهو يبول، ولا يتمسح من الخلاء بيمينه، ولا يتنفس في الإناء». «ولا يتمسح»: لا يستنج.

(٢) أخرج البخاري (١٤١) ومسلم (١٤٣٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما، يبلغ النبي ﷺ قال: «لو أن أحدكم إذا أتىٰ أهله قال: باسم الله، اللهم جَنِّبْنَا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا. فقُضي بينهما ولد؛ لم يضره».

إلىٰ الله ﷻ وبلوغ رضوان الله ﷻ ودخول جنته -بفضله تعالىٰ وبكرمه، ثم بأعمالهم؟!.

لا يمكن أن يكون الإسلام كذلك، ومن زعم أن الإسلام كذلك فقد ضل الطريق، وأخطأ الصواب، ولم يعلم الإسلام حق العلم.

إذًا؛ هؤلاء نحتاج أن نقول لهم: إن الإسلام جاء بكل أمر، ووضح كل شيء، ولهذا لما قال الإمام الشافعي رحمه الله: «لا سياسة إلا ما وافق الشرع»، جاء ابن عقيل الحنبلي -عفا الله عنه- ففهم هذه الكلمة فهمًا مغلوطًا؛ فرد علىٰ الإمام الشافعي، فجاء أهل العلم بعده؛ كابن القيم في «بدائع الفوائد» ووضح أن كلمة الإمام الشافعي كلمة صحيحة قويمة، وأنه لا سياسة إلا ما وافق الشرع؛ فالشرع كتاب وسنة وإجماع وقياس، فالسياسة توقيفية علىٰ الشرع، لا بد أن يكون الشرع قد نص عليها وبَيَّن أحكامها، إما عن طريق النص، وإما عن طريق القياس، وإما عن طريق الإجماع[1].

---

(١) انظر: «بدائع الفوائد» لابن القيم، (٣/ ٦٧٣ وما بعدها).

الإسلام دين شامل كامل:

فإذًا؛ إذا كان الإسلام قد جاء ببيان جميع ما يحتاج إليه المسلم؛ سواء كان بالنص أو بالدلالة، سواء أخذنا هذا الحكم عن طريق النصوص أو عن طريق القياس علىٰ النصوص، فإن الإسلام -والحال هذه- لا يحتاج إلىٰ تكميل أحد، ولا يحتاج إلىٰ زيادة فيه، بل هو واضحٌ جليٌّ.

ولهذا؛ فإنه دين باقٍ إلىٰ قيام الساعة، ودين شامل لجميع الثقلين (الإنس والجن).

كيف يكون هذا الدين كذلك وهو يحتاج -في زعم المبتدع، وفي زعم من اختل تفكيره وعقله، وقصر نظره- إلىٰ أن يتممه بأمور، فيرجعها إلىٰ عقله أو إلىٰ اجتهاده أو إلىٰ نظره؟

لا يمكن أن يكون هذا الدين عامًّا للثقلين: الإنس والجن، شاملًا لجميع الأزمنة والأمكنة حتىٰ قيام الساعة، لا يمكن أن يكون هذا الدين خاتم الأديان، إلا إذا كان هذا الدين مشتملًا علىٰ جميع ما يحتاج إليه الناس من أمور دينهم ودنياهم.

وهذا الكلام قد سبق النَّبِيّ ﷺ ببيانه في عبارات وجيزة، ولكنها تخفىٰ علىٰ مَنْ عَمِيَتْ بصيرتُه؛ فقد ثبت عنه ﷺ أنه قال:

«ما من نبي إلا كان حقًّا عليه أن يدل أمته علىٰ خير ما يعلمه لهم، وأن يحذرهم عن شر ما يعلمه لهم»، وهذا في الصحيح[١].

وثبت في حديث أبي الدرداء ﷺ أنه قال: «ما ترك رسول الله ﷺ شيئًا إلا ذكر لنا منه علمًا، حتىٰ طائر يقلب جناحيه في الجو»[٢]، وهذا مأخوذ من قوله ﷺ: «ما بقي من شيء يقرب من الجنة إلا دللتكم عليه، وما بقي من شيء يقربكم إلىٰ النار إلا وقد أنذرتكم إياه، أو حذرتكم منه». أو كما قال النَّبِيُّ ﷺ[٣].

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٤٤).

(٢) أخرج أحمد في «مسنده» (٥/ ١٦٢) (٢١٤٧٧) عن أبي ذر ﷺ قال: «لقد تركنا رسول الله ﷺ وما يتقلب في السماء طائر إلا ذكرنا منه علمًا».
وقال الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٨٠٣): «وإسناده مرسل حسن».

(٣) أخرج ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٧/ ٧٩) (٣٤٣٣٢) عن ابن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «أيها الناس، إنه ليس من شيء يقربكم من الجنة ويبعدكم من النار إلا قد أمرتكم به، وليس شيء يقربكم من النار ويبعدكم من الجنة إلا قد نهيتكم عنه، وإن الروح الأمين نفث في روعي، أنه ليس من نفس تموت حتىٰ تستوفي رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا يحملكم استبطاء الرزق علىٰ أن تطلبوه بمعاصي الله؛ فإنه لا ينال ما عند الله إلا بطاعته»، وقال الألباني في «صحيح الترغيب =

إذًا؛ هذا الدين كامل شامل بإكمال الله ﷻ له؛ فليس بحاجة إلىٰ أن يزيد فيه مَنْ يزيد، وأن يجتهد فيه من يجتهد، بغير نظرٍ إلىٰ نصوصه وأصوله ومقاصده.

هذا ما يتعلق بالكلام عن السُّنَّة والحث عليها.

إن الاهتمام بسنة رسول الله ﷺ مما ينبغي أن يتنافس فيه المسلمون، فإن كانت السُّنَّة علىٰ الوجوب وجب امتثالها وحرم مخالفتها، وإن كانت السُّنَّة علىٰ الندب والاستحباب فإنه ينبغي للمسلم أن يحرص عليها، وأن يهتم لها ما استطاع إلىٰ ذلك سبيلًا.

وعلىٰ المسلمين أن يعلموا أن اتباعهم لرسول الله ﷺ في كل صغيرة وكبيرة هو سر نجاتهم، وهو سر فلاحهم، وأنهم علىٰ قدر التفريط في اتباع سنة رسول الله ﷺ يكون النقص والضعف فيهم[1].

=

والترهيب» (١٧٠٠): «صحيح لغيره».

(١) أخرج البيهقي في السنن الكبرىٰ (١٠/ ١١٤) (٢٠١٤٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ خطب الناس في حجة الوداع فقال: «يا أيها الناس، إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدًا؛ كتاب الله وسنة

=

فنسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يوفقنا جميعًا للحرص علىٰ السُّنَّة النبوية المطهرة، وعلىٰ سنة الخلفاء الراشدين المهديين بعده -عليه الصلاة والسلام- وأن يرزقنا وإيَّاكم العلم النافع والعمل الصالح.

وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

=

نبيه»، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٤٠).

الأسئلة

وسائل الدعوة توقيفية

السؤال الأول: سائل يسأل عن وسائل الدعوة[١]، هل هي توقيفية أم اجتهادية؟

الجواب: وسائل الدعوة لا بد أن يكون هناك دليل عليها، إما من كتاب الله، أو سنة رسول الله ﷺ، أو إجماع، أو قياس، فإذا لم يكن ذلك كذلك؛ فليست مشروعة، بل هي مردودة، وهذا هو معنىٰ قولنا: «توقيفية»؛ أي أنها توقف إلىٰ حين وجود نص أو دليل شرعي، إما من كتاب، أو سنة، أو إجماع، أو قياس.

وإذا فهم الكلام في وسائل الدعوة علىٰ ذلك؛ فإن الخلاف يقل وينحصر.

---

(١) انظر كتاب «الحجج القوية علىٰ أن وسائل الدعوة توقيفية»، للشيخ عبد السلام بن برجس رحمه الله.

ومن قال من أهل العلم: إن وسائل الدعوة اجتهادية، فلا أظنه يعني إلا ذلك، أي أنها ترجع إلىٰ الكتاب، أو السُّنَّة، أو الجماع، أو القياس؛ وهو: الاجتهاد لاستخراج دليل علىٰ هذه الوسيلة.

وأما من خبط وخاض في وسائل الدعوة من غير علم ومن غير برهان فهذا لا يلتفت إلىٰ قوله، كمن قال: إن التمثيل[1] من وسائل الدعوة إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، -كما رأيت اليوم في مجلة الدعوة- أحد الكتاب في وسائل الدعوة قال بنص العبارة -وهي مضحكة: «فكل وسيلة مباحة يجب العمل بها...»، وهذا كلام يصدر من إنسان لا يعرف بدائيات العلم وأساسياته، ولا يفرق بين المباح والواجب، فكيف يلتفت إلىٰ قوله، أو ينظر إلىٰ ما قرَّره؟!

☆☆☆☆

(١) انظر كتاب «إيقاف النبيل علىٰ حكم التمثيل»، للشيخ عبد السلام بن برجس رَحِمَهُ اللَّهُ.

حكم الأناشيد والتمثيل في الإسلام

السؤال الثاني: سائل يسأل عن الأناشيد والتمثيل، هل هي من البدع؟

الجواب: التمثيل لا شك أنه يشمل علىٰ محرمات؛ فهو محرم، فإن استخدم في الدعوة إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ فهو بدعة من هذا الباب.

وأما الأناشيد؛ إذا كان المراد بها القصائد الملحنة ونحو ذلك مما عرفه العرب قديمًا، فإن ذلك سائغ أن يترنم به، وقد كان الحادي يحدو في الغزوات مع رسول الله[1] ﷺ.

وإن كانت الأناشيد علىٰ طريقة أهل الغناء وطريقة أهل التصوف، فإن ذلك يمنع؛ لأجل ما ورد من الأدلة علىٰ المنع من ذلك والتحذير منه[2].

---

(١) أخرج البخاري (٦٢١٠) ومسلم (٢٣٢٣) عن أنس رضي الله عنه: أن النبي ﷺ كان في سفر، وكان غلام يحدو بهن يقال له أنجشة، فقال النبي ﷺ: «رويدك يا أنجشة سوقك بالقوارير»، قال أبو قلابة: يعني النساء.

(٢) أخرج البخاري (٥٥٩٠) عبد الرحمن بن غنم الأشعري، قال: حدثني أبو عامر أو أبو مالك الأشعري، والله ما كذبني: سمع النبي ﷺ يقول: «ليكونن

الاقتداء بالنبي ﷺ في كل أفعاله

السؤال الثالث: هل من السُّنَّة الأمور العادية التي كان يفعلها ﷺ؟ وهل يؤجر من اقتدىٰ به -عليه الصلاة والسلام- فيها؟ وهل يتحرىٰ فعل السُّنَّة العادية -إن صح التعبير- ويتقصد فعلها كما رأينا ورأىٰ بعض الناس؟ أرجو التوضيح والتمثيل.

الجواب: نعم، كل ما جاء عن النَّبِيِّ ﷺ فإنه يشرع العمل به، ويحث علىٰ المسارعة إلىٰ تطبيقه، ولهذا؛ فإن النَّبِيَّ ﷺ كان يحب الدباء وهو القرع، وكان يتتبعها عند الأكل، فيقول أنس: «لم أزل أحب الدباء؛ لأني رأيت رسول الله يتتبعها»[1]، وبوَّب عليه النووي رحمه الله تعالىٰ: «استحباب تتبع الدباء في القصعة»؛ فيؤخذ من ذلك أن الاقتداء به ﷺ يكون في كل شأن من شؤونه ﷺ.

=

من أمتي أقوام، يستحلون الحر والحرير، والخمر والمعازف...».

(١) أخرجه البخاري (٢٠٩٢) ومسلم (٢٠٤١).

والذي ينبغي أن يلحظ هنا أن بعض السنن قد تعارِض في واقع العمل في مكان ما أو في وقت ما واجباتٍ؛ كاستلام الحجر الأسود من الكعبة وتقبيله، فإذا صادف ذلك زحامًا وكان في تطبيق هذه السُّنَّة ما يضر بالمسلمين فإنها تترك لأجل ذلك.

ولهذا؛ فإن أهل العلم قد يتركون بعض السنن في بعض الأوقات لتحقيق مصلحة أكبر، وهذا قد قرره ابن تيمية رحمه الله تعالىٰ، وقرره غيره من أهل العلم، وذلك في «رسالته إلىٰ أهل البحرين»، وهي رسالة جيدة جميلة يجدر بكل طالب علم وداعية أن يقرأها وأن يتأملها.

☆☆☆

السعي يوم الجمعة حسي أم معنوي؟ وحكم رفع اليدين في قنوت الوتر

السؤال الرابع: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ

ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة:٩]، هل السعي هنا حسي أم معنوي؟ وما حكم رفع اليدين في قنوت الوتر سواء كان إمامًا أو منفردًا؟

الجواب: أما الآية فمعناها: أن البيع والشراء بعد نداء الجمعة الثاني محرم، ولا يصح البيع والحال هذه.

والسعي إلىٰ ذكر الله الذي هو السعي بالأرجل لاستماع الذكر وحضور الصلاة، فهذا هو معنىٰ الآية.

وحكم رفع اليدين في قنوت الوتر سواء كان إمامًا أو منفردًا هو من السنن الثابتة عن النَّبِيِّ ﷺ وعن صحابته الكرام[(١)].

❀☆☆☆❀

(١) أخرج ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢/ ١٠٠) (٦٩٥٤) عن عبد الله؛ أنه كان يرفع يديه في قنوت الوتر. وفي «السنن الصغرىٰ» للبيهقي (١/ ٢٧٨) (٤٥٩): قال: «وروينا رفع اليدين في قنوت الوتر عن ابن مسعود وأبي هريرة، فأما مسح اليدين بالوجه بعد الفراغ من دعاء القنوت فإنه من المحدثات».

الأمر والنهي في باب الآداب

السؤال الخامس: هل الأمر في باب الآداب يحمل علىٰ الوجوب أو الندب؟ وكذلك النهي في باب الآداب هل يحمل علىٰ التحريم أو التنزيه؟

الجواب: الأمر عند جمهور علمائنا إذا أطلق فإنه ينصرف إلىٰ الوجوب، ولكن هناك من القرائن ما تصرف الأمر من الوجوب إلىٰ غيره، ومن ذلك ما قرره الأصوليون من أن الأمر إذا كان متجهًا إلىٰ أدب من الآداب فإنه يحمل علىٰ الاستحباب لا علىٰ الوجوب، وهذا مثل الأمر بلبس النعل باليمين[1]، والأمر بلبس النعل جالسًا، ونحو ذلك، فإن أهل العلم، قالوا: إن ذلك من باب الندب لا من باب الوجوب؛ وذلك لأنه في باب الآداب؛ ويعللون بأن هذا

---

(١) أخرج البخاري (٥٨٥٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا انتعل أحدكم فليبدأ باليمين، وإذا نزع فليبدأ بالشمال، ليكن اليمنىٰ أولهما تنعل وآخرهما تنزع».

الأدب -وهو لبس النعل- ليس واجبًا في الأصل؛ فما بني من الأوامر عليه فإنه يكون تابعًا للأصل في عدم الوجوب.

وهكذا النهي، كما في النهي عن مَسِّ الذكر باليمين[1]، فإن أكثر الفقهاء يذهبون إلىٰ أن النهي هنا إنما هو للكراهة؛ لأن ذلك في باب الآداب.

وهذا هو القول الصحيح، وهو الذي قرره كثير من المحققين من أهل العلم كابن تيمية وغيره.

☆☆☆

عدم إثارة الفتن

السؤال السادس: هل يجوز ترك سنة في الصلاة -مثلًا- إن كانت هذه السُّنَّة تثير الفتنة في البلد الذي هو مقيم فيه؟

الجواب: السُّنَّة لا تثير الفتنة، ولكن الذي يثير الفتنة هو الفهم الرديء عند المسلمين الموجودين في هذا المكان،

(١) تقدم ذكر الحديث الذي أخرجه البخاري (١٥٣) ومسلم (٢٦٧).

فإذا وجد في المسلمين من هو رديء الفهم إلىٰ هذه الدرجة في مكان ما؛ فكان عمل السُّنَّة يثيره ويجعله يُشغب علىٰ الحاضرين، فتمتد الأيادي إلىٰ الضرب ونحو ذلك، فإن قواعد الشريعة تنص أو تدل علىٰ أن ترك هذه السُّنَّة هو الأولىٰ والأحوط، بل قد يكون لازمًا في بعض الأحيان إذا كان سيفضي فعلها إلىٰ مفسدة محققة؛ كضرب مؤلم أو قتل، أو نحو ذلك.

ولهذا؛ فإن شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في مواطنَ أكَّدَ ذلك، وقرر أن بعض السنن تُترك لأجل ألَّا تُثار الفتنةُ.

لكن ليس معنىٰ ذلك أن تترك السُّنَّة إلىٰ الأبد، تترك في هذا المقام وفي هذا المكان لأجل ألا تحصل المفسدة التي هي أعظم من تحصيل هذه السُّنَّة، ويكون المسلم أو الراغب في هذه السُّنَّة دائبًا علىٰ التعليم والتوجيه ومحاولة أن يوصل هذه السُّنَّة إلىٰ هؤلاء القوم دون أن يحدث أذىٰ، ودون أن تقع فتن، فهذا هو عمل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وعمل مَنْ جاء بعدهم من علماء الإسلام.

وقد علمتم ما فعله الأعرابي في المسجد عندما بال، هَمَّ

به الصحابة ليضربوه، فنهاهم النَّبِيُّ ﷺ عن ذلك[1]، مع أن ذلك منكر يجب أن يُنكر، ولكن قد يكون إيقاع الإنكار عليه في ذلك الوقت وفي تلك الهيئة يحدث ضررًا أكبر؛ فهو إذا قطع بوله فسوف يتضرر في جسمه؛ لما عُلِمَ من أن حبس ذلك فيه ضرر.

إذًا؛ القاعدة: أن فعل السنن إذا عارضه جلب محرم أو وقوع في محرم فإننا نترك السُّنَّة التي هي ندب في سبيل دَرْءِ هذا المحرم، ويكون ذلك ليس إلىٰ الأبد؛ وإنما هو إلىٰ أن تهدأ الأمور، ثم يستعان عليها في التوضيح والبيان، أو بمطالبة من هو أعلم وأكبر سنًّا منك في هذا المكان أن يوضح السُّنَّة، وأن يبينها.

☆☆☆

(١) أخرج البخاري (٦٠٢٥) ومسلم (٢٨٤) عن أنس بن مالك: أن أعرابيًّا بال في المسجد، فقاموا إليه، فقال رسول الله ﷺ: «لا تزرموه» ثم دعا بدلو من ماء فصب عليه. ومعنىٰ «لا تزرموه»: لا تقطعوا عليه بوله.

ما يبدأ به طالب العلم

السؤال السابع: بعض طلبة العلم يقولون: لا تشتغلوا عن طلب العلم بقراءة الردود التي تحذر من البدعة وأهل البدعة؟

الجواب: أولًا: طالب العلم ينبغي له أن يُعْنَىٰ بكتب التأصيل؛ فيقررها في نفسه أولًا، ليتعلم السُّنَّة أولًا.

فإذا تقرر ذلك في نفسه، وعرف أصول أهل السُّنَّة والجماعة، واستقرت في ذهنه، وبانت دلائلها في قلبه؛ فإنه بعد ذلك يستطيع أن ينظر في الكتب التي تشمل علىٰ كشف الشبهات، ودحضها، وبيان الخلل الواقع فيها.

أما أن يبتدئ فينصرف إلىٰ كتب الردود، فإن ذلك ليس من عمل أهل العلم، ولهذا؛ فإن كتب الردود لا يأخذ منها أهل العلم التأصيل في قضايا العقائد؛ فكتب الردود في الغالب يكون فيها من تجاوزات في الألفاظ، وتنزل مع المردود عليه ما لا يخفىٰ علىٰ أهل العلم وطلبة العلم المتمكنين.

إذًا؛ الوصية أن يحرص الطالب أول أمره علىٰ تأصيل المعتقد، وتأصيل السُّنَّة في نفسه، فيعرف كتب السُّنَّة، ويقرأ

أدلتها، كـ«التوحيد» للشيخ محمد بن عبد الوهاب، و«الواسطية» لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمهما الله تعالىٰ.

وإذا قرأ هذه الكتب وعرف أدلتها فإنه -والحال هذه- قد ينتقل إلىٰ قراءة بعض الكتب التي تتعلق برد الشبهات ونقضها حسب حاجته إلىٰ ذلك في بلده.

وليس معنىٰ ذلك أنَّ هذه الكتب لا قيمةَ لها، أو لا وزنَ لها، أو ليس لها اعتبارٌ، ليس ذلك كذلك؛ وذلك لأن هذه الكتب مطلوبة من أهل العلم ومهمة، وهي من الجهاد في سبيل الله، ومن حماية بَيْضَةِ الإسلام[1] أن تخدش، ولكن هذا شيء، والوقوعُ في قراءتها والتوسُّع في قراءتها لمن لم يؤصِّل نفسه أولًا شيء آخر.

وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

☆☆☆

(١) بيضة الإسلام: جماعتهم.

الفهرس

مقدمة الناشر..... ٥
ترجمة فضيلة الشيخ عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم ١٤
اسمه ونسبه ١٤
مولده ونشأته وبداية طلبه للعلم..... ١٤
دراسته النظامية ١٦
مشايخه رَحِمَهُ اللَّهُ ١٧
المناصب التي تقلدها ١٨
من مؤلفاته ١٨
موقع الشيخ ١٩
تعريف السنة ٢٢
الأمر بالدخول في الإسلام كافة..... ٢٣
الاتباع المُطلق إنما يكون لمن نص عليه النَّبِيُّ ﷺ..... ٣٥
الواقع المرير ٣٧
ضعف التأسي بالنَّبِيِّ ﷺ وعواقبه..... ٣٧

آثار التأسي برسول الله ﷺ ٣٩

الإخلاص والمتابعة ٤١

السنة النبوية شملت جميع ما يحتاجه المسلم في كل زمان ومكان ٤٥

الإسلام دين شامل كامل ٤٩

الأسئلة ٥٣

وسائل الدعوة توقيفية ٥٣

حكم الأناشيد والتمثيل في الإسلام ٥٥

الاقتداء بالنبي ﷺ في كل أفعاله ٥٦

السعي يوم الجمعة حسي أم معنوي؟ وحكم رفع اليدين في قنوت الوتر ٥٧

الأمر والنهي في باب الآداب ٥٩

عدم إثارة الفتن ٦٠

ما يبدأ به طالب العلم ٦٣

الفهرس ٦٥

منهاج أهل الحق والاتباع

في مخالفة أهل الجهل والابتداع

تأليف
فضيلة الشيخ
عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم

دار المنهاج

تصنيف الناس

أو

الرد على منكري التصنيف

تأليف
فضيلة الشيخ
عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم

دار المنهاج

الجرح والتعديل
عند السلف

تأليف
فضيلة الشيخ
عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم

دار المنهاج

أصول الدعوة السلفية

تأليف
فضيلة الشيخ
عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم

دار المنهاج

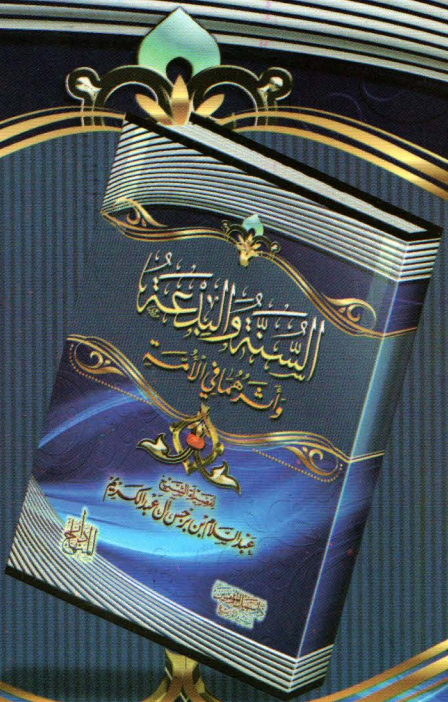

دار المنهاج
المكتبة: ١٨ش الهدي المحمدي - أحمد عرابي - عين شمس
جوال: ٠٠٢٠١٢٨٨٨٨٤٠٨١
٠٠٢٠١٢٨٨٨٨٤١١٣ - ٠٠٢٠١٢٨٨٨٨٤٠٧٨
E-mail:daralmenhaj@hotmail.com
E-mail:daralminhaj@yahoo.com